

التبيان في تفسير القرآن

(7) في انه لا ينتفع بموجب العقل. وقيل ان المنى " أفلا تعقلون " أني اطلب بذلك نصحكم وصلاحكم فتقبلوه ولا تردوه. قوله تعالى: (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) (52) آية بلاخلاق. هذه الآية عطف على ما قبلها، وفيها حكاية أيضا عما قال هود لقومه، فانه ناداهم، وقال " يا قوم استغفروا ربكم " اي اطلبوا منه المغفرة " ثم توبوا اليه " وانما قدم الاستغفار قبل التوبة، لانه طلب المغفرة التي هي الغرض، ثم بين ما به يتوصل اليها هو التوبة، والغرض مقدم في النفس، لان الحاجة اليه ثم السبب، لانه يحتاج اليه من اجله. وقيل ان (ثم) في الآية بمعنى الواو، كما قال " خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها " (1) وكان جعل الزوج منها قبل جميع البشر. وقبل ان المعنى استغفروا ربكم من الوجه الذي يصح، من الايمان به وتصديق رسله، والاقلاع عن معاصيه، والتوبة من القبائح " ثم توبوا اليه " بمعنى استديموا على ذلك وجددوا التوبة بعد التوبة، لئلا يكونوا مصرين. وكل ذلك جائز وظاهر هذه الآية يقتضي أن الله تعالى يجعل الخير بالتوبة ترغيبا فيها، لانه وعد متى تاب العاصي يرسل السماء عليهم مدرارا وهو الدرر الكثير المتتابع على قدر الحاجة اليه دون الزائد المفسد المضر، ونصبه على الحال. وروي انهم كانوا أجذبوا، وانهم متى تابوا أخصبت بلادهم واثمرت اشجارهم وانزل عليهم الغيث الذي يعيشون به. _____ (1) سورة الزمر آية 6.